افضل؛ فمحاولات الضغط والتهجير التي كانت تنجح في الماضي، لم تعد تنجح الآن، لأن الجماهير اصبحت تدرك انها ستلاحق حتى في اماكن هجرتها؛ ومجازر صبرا وشاتيلا اعطتهم درساً كبيراً؛ لذلك ليس لدى هذه الجماهير سوى التصدي بكل الوسائل المتاحة لسياسة التمييز والتهجير. وهذه الامور، وغيرها، ساعدت في ظهور حركة ابناء البلد.

نواة العمل التنظيمي

في اطار آلية العمل، قمنا، انا وغسان فوزي ومحمد سلامة، بتشكيل نواة الحركة واتصلنا بالاشخاص الآخرين لبلورة الاطار. لقد حاولنا طرح اسماء مختلفة للحركة، وكنا نريد اسماً شعبياً سهل التداول، فاخترنا، في النهاية، اسمنا لضرب التوجهات الطائفية والقبلية، ولنقول اننا لسنا ابناء طائفة، او حمولة معينة، ولكننا، جميعاً، ابناء بلد واحد. التقينا بمحمد كيوان في المراحل الاولى للاعداد التنظيمي، وهو محام، وكان نشيطاً في لجنة الطلاب العرب في جامعة تل ـ ابيب. اللقاء معه تم في حزيران (يونيو) ١٩٧٢؛ الا اننا، قبل ذلك ، كنا، انا ومحمد سلامة وغسان فوزي واصدقاء آخرون، قطعنا شوطاً بشأن اقامة الحركة في ام الفحم اولاً، ثم في حيفا ويافا والطيبة وكابول وسخنين، الخ.

بدأنا نتصل بالآخرين، ونتعرف عليهم، ونختبر نوعيتهم. وكنا، في ذلك الوقت، حديثي السن (٢٠ سنة تقريباً)، ونتصل بأشخاص اكبر منا سناً، لأن هدفنا لم يكن تأسيس حركة شبيبة، او تنظيم طلابي؛ فالهدف كان ايجاد ظاهرة اجتماعية تعبر عن طموحاتنا. لذلك، كان لابد من الاتصال بأشخاص لهم تجارب سياسية سابقة، ولا بد من تجنيدهم. وفي هذا الاطار، تم تجنيد محمد كيوان، ومحمد فريد محاميد الذي تمكننا من دفعه ليكون عضواً في المجلس البلدي في ام الفحم، وهو عامل بناء؛ كما جندنا شباناً آخرين، مثل محمد انيس حمّاد، وهو عامل بناء ايضاً ونشط في لجان الدفاع عن العمال، وآخرين من صفوف الطلاب.

وهذا الاستقطاب شكل بدايات العمل في منتصف العام ١٩٧١، الى ان اعلنا عن الحركة في ١٩٧٢/٨/٣١، على الرغم من اننا طرحنا اسم «ابناء البلد» قبل هذا التاريخ، وذلك عندما اعلنا برنامجاً بعنوان «برنامج قائمة ابناء البلد المقترحة» واطلقنا عليه، في حينه، اسم الكراس الاخضر، لأن غلافه كان اخضر اللون. وهذا البرنامج، على الرغم من انه كتب في مرحلة مبكرة ولم يكن شاملاً كما نريد، الا انه جدير بالمراجعة، لأن جميع مافيه ما زال صحيحاً حتى هذه المرحلة. ولقد اشار البرنامج الى الاهمال والفساد، والى ضرورة اشراك المرأة والمطالبة بأن تأخذ دورها الطبيعي في المجتمع؛ كما اشار الى اهمية الثقافة الوطنية، واهمية الارض؛ وذكرنا فيه ان قائمة ابناء البلد المقترحة سوف تحدد موقفاً من كل قضية لام الفحم لها مصلحة فيها. وقد فسر البعض هذه الجملة بأنها «محلية جداً»، وتختص، فقط، بام الفحم، ودار نقاش واسع بشأنها، اننا، في حقيقة الامر، لم نقصد المعنى الضيق للعبارة المذكورة، واوردنا امثلة لتفسير ذلك، سألنا: اذا هدموا بيتاً في اكسال عند مدخل الناصرة، في مرج بن عامر، ماذا يكون موقفنا؟ اجبنا: اذا هدموا بيتاً في اكسال، فان ذلك يكون خط المواجهة الاول لأنهم سيأتون، بعدها، الى مصمص، ثم الى ام الفحم؛ لذلك، فان لام الفحم مصلحة مباشرة في الدفاع عن البيت المهدم في اكسال، او مصمص، او غيرهما.

بعد اصدار البرنامج، عبرت مجموعة كبيرة من الشبان عن رغبتها في الانخراط في العمل، لكن البعض اشترط ان يكون الاهتمام بالقضايا المتعلقة بام الفحم فقط، كما اشترط الاهتمام، فقط، بالقضايا المحلية وليس في القضايا السياسية؛ فقلنا لهذه المجموعة ان القضية مفروضة علينا، وقد رفض البعض هذا التوجه، واورد محمد فريد مثلاً حول فيتنام لتأكيد ضرورة التضامن مع نضال الفيتناميين ضد الولايات المتحدة الاميركية التي، بدورها، تدعم اسرائيل وتمولها، ولتأكيد مسألة الصلة المباشرة بين القضايا المختلفة. لكن هذا البعض رفض ذلك، فقلنا له: لا بأس، لنبدأ بالمسائل المحلية، وبقضية تعبيد الشوارع في البلدة، لماذا لا تعبد شوارعنا ؟ لان المجلس المحلي لا يملك ميزانية كافية لذلك، ولماذا لا يملك ميزانية كافية ؟ لان الدولة لا تخصص للمجالس العربية سوى ميزانيات ضئيلة جداً؛ وبهذا، فان الحكومة تمارس التمييز والعنصرية ضد مجالسنا المحلية للقضاء عليها ولطرد العرب من اراضيهم؛ وحتى تحقق ذلك، لا بد من ان تستخدم الدعم المادي والعسكري من